

الاستراتيجية الثقافية للمقاوم من خلال نماذج من الشعر الجزائري

المعاصر

أ. د. علي ملاحي¹

¹جامعة الجزائر 02- الجزائر، doc_ali@hotmail.fr

تاريخ الاستلام: 2023/05/21 تاريخ القبول: 2023/05/27 تاريخ النشر: 2023/06/04

وجدان متمرس وحكيم يمتلكه الشعراء عموما ، ذاك هو الحس المقاوم المتجذر في مشاعر الشعراء ، وقد لمسته بقوة لدى الشعراء الجزائريين ، من الذين غدّتهم روح الثورة التحريرية الكبرى ، وتبنّاه على نحو مباشر الى حد بعيد شعراء ما قبل الثورة على نحو من البهامة والبساطة والعفوية من أمثال الأمير عبد القادر وعبد الكريم العقون وابن رحمون والأمين العمودي والطيب العقبي والربيع بوشامة وزهير الزاهري ،،،، وغيرهم ، ثم تغدّى بقوة لدى شعراء الثورة من أمثال عبد القادر السائحي ومفدي زكرياء مؤلف النشيد الوطني الجزائري وصاحب ديوان اللهب المقدس الى جانب الشعراء: محمد العيد آل خليفة ومحمد السعيد الزاهري وصالح خرفي ورمضان حمود وصالح خباشة ومحمد الشبوكي ومبارك جلواح ومحمد الأخضر عبد القادر السائحي وصالح خرفي والشيخ سحنون وأبو القاسم سعد الله ومحمد الصالح باوية وأبو القاسم خمار وعبد الله شريط ... وغيرهم .

من خلال هذه السلالة الشعرية ذات المرجعية الإصلاحية المشحونة بريحان الثورة في بعدها السيميائي والثقافي وما تنطوي عليه من تأثير وجداني

أ.د. علي ملاحي

أُبغت أسماء شعرية جزائرية جديدة ، تملكها هذه الروح الثورية المقدسة وجدانيا ، البالغة جماليا ، وقد تهيأت لها الأسباب الثقافية التي نمت فيها هذا الحسن المقام الى درجة أنك وأنت تتصقح نصوصهم او الكثير من النصوص الشعرية الجديدة ، تتراءى طقوس الثورة متجلية وبأشكال أسلوبية جديدة مفارقة للمألوف الشعري ، بصورة جمالية مغايرة تماما ، تماشيا مع التصور الحدائى الأدونيسي الذي يختزل المفهوم الحدائى للشعر بقوله: ان " الشعر بحث عن المجهول لا يمكن الوصول اليه ² ، وهو التصور الذي كان له أثره النقدي الواضح في تجربة الشعر الجزائري الجديد ، وهو ما نلمسه في لغة الشعراء وأدواتهم وفي رؤيتهم المتشعبة بالثقافة التحررية التي يقرها المنظور الأدبي التاريخي بما ينقله الينا من مشاهد تصويرية حية وهو ما سماه الدكتور حسن فتح الباب باسم أسلوب تيار الوعي في سياق قراءته النقدية لقصيدة تيزي رشيد للشاعر الجزائري المقيم حاليا بلندن : أزراج عمر ³

الظاهر أن الشاعر الجزائري الجديد الثمانيني بالخصوص قد تلبس شعريا بلغة منوالها رؤية مطواعة ، منسوجة وفق مقاييس لا هي باللغة المباشرة ولا هي بالبالغة المعهودة التي تحتكم الى معايير البيان العربي ، وانما هي مشرب جديد يستأنس في مقوماته بالإيجاء الشعري والصورة المستقصاة من الواقع اليومي ،

¹ هذا ما شرحه وحلله بعمق الدكتور أحمد يوسف /يراجع لذلك كتابه : السلالة الشعرية في الجزائر/ علامات الخفوت وسيمياء اليتم . مكتبة الرشد للطباعة والنشر والتوزيع . س . بلعباس . الجزائر 2004 كما يراجع في هذا المضمار: الشعر الجزائري الحديث : صالح خرفي - المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1984

² أدونيس : ص 67

³ ينظر : سمات الحدائى في الشعر العربي المعاصر / الهيئة المصرية العامة للكتاب 1997 ص 462 . في هذا الشأن أشير الى أن الشاعر أزراج عمر ذو أصول أمازيغية ، وقد كان له دور شعري وثقافي حيوي في مرحلة السبعينيات ، وهو أبرز من دعا الى الخروج من عباءة الحزب الواحد وأعلن تمرده السياسي شعرا من خلال قصيدته : " أيها الحزب الوحيد .. أيها الواحد كالفقر ..أيها الجالس كالفقر علينا ..تجدد او تمدد او تعدد... " ولقيت القصيدة اثارا واسعة سلبا وايجابا ، وكانت سببا أساسيا لخروجه من الهينات الثقافية في الجزائر واللجوء الى بريطانيا كملاذ ثقافي بارادته الخالصة . رغم بعض المضايقات غير الرسمية

الاستراتيجية الثقافية للحسّ المقاوم من خلال نماذج من الشعر الجزائري المعاصر

مستفيدة في ذلك من الحداثة الشعرية العربية في نبرتها وإيقاعها وتجربتها وخصوصياتها النفسية والاسلوبية ، بشكل لا يتواتر مع ما توارد في الشعر العربي القديم ، ومن الطريف ان يكون الشاعر الجزائري من المحتفين بالحداثة مقتنعا بلا جدوى الأساليب الشعرية التقليدية التي انحاز اليها شاعر جزائري قديم مثل بكر بن حماد بوصفه " أكبر الشعراء الجزائريين طوال القرون الأولى للهجرة ، بل ربما عُدّ من أكبر الشعراء الجزائريين على وجه الاطلاق " حسب مسلّمات الناقد الجزائري الدكتور عبد الملك مرتاض⁴

في جعبي أربعة شعراء أردت أن أطرح فيهم هذه الجودة المتأصلة والمتنامية فيهم بوصفهم شعراء من سلالة ثقافية ثورية بتعبير الدكتور أحمد يوسف في كتابه : (السلالة الشعرية في الجزائر)⁵ ، من الذين آمنوا بالثورة التحريرية باعتبارها مرتبطاً انتمائهم وهويتهم وباعتبارها وجدانا ملهما راسخا لقرائهم . وقد تحوّلت لديهم هذه الثورة الى استراتيجية ثقافية وجدانية عميقة مؤمنة بوطن اسمه : " الجزائر الحرة الجديدة " ، من منطلق إيديولوجي مفارق لما تبنته الحركية الشعرية العربية عموما والمحلية بشكل خاص ، وسأذكر هاهنا الشعراء يوسف شقرة صاحب اليوسفيات ، الى جانب ديوانه زغاريد حب ضائع ألمعنة في الحس الحداثي المقاوم ، ناهيك عما حمله ديوانه التجريبي الأول : زغاريد حب ضائع ، ومن ذلك أيضا الشاعر نور الدين طيبي صاحب ديوان زغرودة الماء وما حملته من روح الشعر المتمرد على الآليات التقليدية في معناه وفي مبناه وهو صاحب الأزوجة الجذلي التي تشير الى كثير من حسّ الشعري المقاوم :

"أنا الأرض ما حلت بتولاً بمهجتي

⁴ عبد الملك مرتاض ، السنة 2021 / ص 155

⁵ يراجع : السلالة الشعرية في الجزائر / علامات الخفوت وسيمياء اليتيم الذي ألحقه فيما بعد بكتاب يتم النص ، تناول فيه أغلب الشعراء في الجزائر بموضوعية كبيرة ، وخبرة واطلاع واضحين

⁶ إشارة الى ديواني الشاعر يوسف شقرة : زغاريد حب ضائع : الجزائر 2017

أ. د. علي ملاحي

وما كنه أرض غير ليلي بتولها" ⁷

و منه كذلك الشاعر الأكاديمي مشري بن خليفة الذي يميل الى فكرة استنطاق الواقع بطريقة فيما الكثير من مؤهلات العالم الرياضي ، وكأني به مقتنع بشعرية الرياضيات مقابل شعرية الواقع ، ولعل ذلك ما يوحي به ديوانه ⁸ (سين) بما احتوى عليه من إيقاع كثيف ، مهووس بالاقتصاد في الصياغة والتركيز على الضرب على وتر الدلالة الشعرية دون الخضوع لمتطلبات القصيدة الخليلية ، وهو يصر على تقديم نفسه الشعري على أنه شاعر نثري ، ومن هذه البؤرة الصوتية يبدأ إعلان الصارخ الصريح : بأن الشعر هو وجدان مقاوم .

الشاعر الرابع الذي نسعى الى تبيان مردوده الشعري الملازم لصورة الفارس المغوار الذي لا يسلم بالأمر الواقع ، ويميل الى ضرورة الخوض في كل الدهاليز الثقافية والسياسية والتاريخية بروح إيجابية فاعلة . انه الشاعر التأصيلي (بن عزوز عقيل) أو عزوز عقيل . كما ورد في بعض دواوينه ⁹

ان المفترض أن كل شاعر من هؤلاء يمثل خيطا ثمينا في حركية الحداثة الشعرية الراضية لكل أشكال النكوص والاستلاب . ويبقى أن نترك المجال لباب الدراسة التأويلية مفتوحا لأسماء شعرية أخرى في مقام تحليلي أوسع .

للأهمية النقدية فان هؤلاء الشعراء قد ترسخت لديهم عاطفة هائلة من الإحساس بضرورة التشبث بروح المقاومة في سلوكهم الشعري ، وقد آمنوا أن القوة هي هذا الشعور بالاعتزاز بالنفس والثقة في الذات ، وهذه ثقافة ثورية ذات حمية خاصة تربى عليها هذا الجيل الشعري (الثماني) ، رغم انه لم يعيش الثورة كحقيقة ملموسة ، وقد عبر عنها الشاعر يوسف شقرة بقوله :

" يا رفاقي

⁷ نور الدين طيبي، 2000 ، ص 18

⁸ إشارة الى ديوان سين: مشري بن خليفة ، ط1 / 2002

⁹ إشارة الى ديوان : مناديل العشق : عزوز عقيل: ط1 / 2018

حان دوري " ¹⁰

إحساس ثوري مخبأً في تجايف اللغة الشعرية ، يسارع الشاعر يوسف شقرة الى إعادة صياغته في تشكيل سردي مقاوم بواسطة ما تحمله من طاقة فنية وقدرة لغوية مؤثرة في موهبة الشاعر ، وتمكين ملكته من إعادة بناء اللغة وتحويل السردى الى شعري، دون الوقوع في مطب اللغة الباردة الناجمة عن تأثير اللغة الصاخبة الحامية الشبيهة بزوبعة في فنان :

" سجلوا صوت صراخي

سجلوا اليوم اعترافي

هذه الثورة

رفاقي

شمس يوم

سوف يأتي

بعد نصر

فادركوا درب الحقيقة

فيه عز

سوف يبقى يا رفاقي

خالدا مر السنين

هذا درب الخالدين

هذا درب العاشقين

هكذا قالت فتاتي .. " ¹¹

¹⁰ .. يوسف شقرة : ص 38

¹¹ نفسه : ص 54

أ. د. علي ملاحي

وعلى هذا الإيقاع يجدد أنفاسه الشعرية، ويمارس لغة الرفض بوجدان متحرر، غير مكترث بنبوذة الخائنين للوطن:

" من يريد العزّفين يا رجال

لن ينام

اسمعوا هذا المنادي

قد تأهب للقتال

فأدركوه

ساعده

هكذا يحلو السفر " ¹²

وعلى هذا الإيقاع الثوري نفسه أيضا تتدفق قريحة شاعر آخر، ليس ككل الشعراء، لكنه من طينة الشعر العميق، هو الشاعر نور الدين طيبي الذي يؤثر الانصهار في الحب الثوري بأسلوبه الفاخر ضمن قصيدته اعترافات وجع بدوي: " لليلي، وذي ليلي جناني وجمرتي /

وقد عشت أشدوها لأنني قتلها " ¹³

الشاعر نور الدين طيبي، يرسم بذكاء شعري هوية وجدانه، وينتمي الى هذا الوطن، بلغته المخيالية الخاصة، يقاوم الصداً بكفاءة شعرية، وفق رؤية فيها مهارة، ولها خصوصيتها البنيوية والسيمولوجية والاسلوبية:

" حكمة الأرض أبنائها .

كلما ابتسموا ... التأموا . " ¹⁴

هذه ثقافة الشاعر الجزائري الجديد المنصهر بحماسة داخلية في حسن مقاوم لا يشبه مقاومة الشاعر الثوري مفدي زكرياء، ولكنه لا يقل عنه حماسة،

¹² نفسه : ص 39

¹³ نور الدين طيبي ص 17

¹⁴ المصدر نفسه : ص 51

الاستراتيجية الثقافية للحسّ المقاوم من خلال نماذج من الشعر الجزائري المعاصر
لأنه يخبئ اللوعة والهّم والألم في تحدّ انثروبولوجي استدعى ناقدا حصيّا مثل الأستاذ الدكتور عبد الملك مرتاض ان يراهن على ما قرأه للشعراء الجزائريين قدامى ومحدثين ليستدرج اللغة المحلية الجزائرية ويعطيها أبعادها الاجناسية ، ويفتح الباب على مصراعيه للمفردات ان تخرج من قمقمها القبلي الى فضاء اللغة الفسيح ، وكأني بالدكتور عبدالمملك مرتاض قد اقتنع ان القاموس الانثروبولوجي يصنعه الشعراء ، هذا ما تحمله التضحية المعرفية التي قدمها الدكتور عبدالمملك مرتاض¹⁵ في: "معجم موسوعي للمصطلحات الانثروبولوجية : متابعة لمصطلحات العلاقات والعادات والتقاليد في المجتمع العربي منذ القديم الصادر عن دار القدس العربي بوهران . وهذه المزية الثقافية المتصلة بالعادات والتقاليد...هي التي جسّدها معجمه الموسوعي للمصطلحات الانثروبولوجية الذي نزع من انه طاقة إبداعية ومعرفية خلاقة ناجمة عن قدرة الناقد على استثمار كل ما قرأه من شعروما لخصه من أفكار اجتماعية . وما استوحاه من حسّ مقاوم من الرصيد التاريخي الذي نبجله جميعا ممثلا في شخصية الأمير عبدالقادر شاعرا ورجل ميدان وصاحب حركة مقاومة كان لها أثرها النفيس في بلورة المجتمع الجزائري بكل طوائفه وسلالاته.¹⁶

لقد أثار فضولنا ما كتبه الشعراء الجزائريون ، قدماء ومحدثون¹⁷ ، وقد تبين لنا ان التجربة الجديدة لدى شعراء الثمانينيات لا تعيد الأشياء والأفكار ، وانما تجرّتها بروح متمردة شبيهة بالهم الوجودي الحضاري الإنساني الذي حمله نموذج الانسان المصري بعبقريته التي مكنته من أن يبني أهرامات مصر العظيمة...ويؤثث بذلك للزمن وللإنسان ، ويثبت أن الوجود له تحولاته اللامتهدية

¹⁵ معجم موسوعي للمصطلحات الانثروبولوجية. 2018

¹⁶ بشير بويجرة محمد 2007 ص 120

¹⁷ (يراجع مثلا شعراء الجزائر / ديوان ابن العقون / تصدير مهري المولود بن عمار/ الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1980 ،

أ. د. علي ملاحي

، وأن الابداع له شراكته الحضارية بكل تأكيد ، وأن الوطن المنشود له شعريته ،
وأن روح الثورة تتجانس وجدانيا مع الشعر ، بتعبير أستاذنا الأغر الدكتور صلاح
فضل .¹⁸

هكذا يستوعب الشاعر الجزائري نور الدين طيبي محنة الأرض ومحنة
الوطن التاريخية، مستفيدا من محنة الانسان المصري الحضارية ،¹⁹ وللأهمية
النقدية نشير هنا ان الشاعر نور الدين طيبي كان قد حصل سنة 1995 على
الجائزة الأولى لجائزة مفدي زكريا الشعرية بالجزائر تحت لواء الروائي الراحل
الطاهر وطار عن قصيدته الرائدة : افضاء لسامر المرجان . وهكذا يمكن القول
بوضوح : ان الشاعر الجزائري يمتلك زمام التحولات الشعرية ، ولذلك لمسنا فيه
قدرته الفائقة على الانطلاق الشعري الذي يتيح لروحه المقاومة أن تتحدى جملة
الانكسارات والاهتزازات والارتباكات .. بكل بسالتها وبكل تنضيداتها الوجودية
والتاريخية والسيميولوجية ، وبلغة ممعنة في الثقة والايمان الصادق نجد الشاعر
نور الدين طيبي يمارس هذا الإباء الشعري متوثبا غير متردد :

" حكمة الشمس

أنك تغري المدائن بالضوء

قلبك دفء المجرة

أنت الذي ...

رجل من فرح

حكمة الشمس .. من دمننا شمس هذا الوطن ."²⁰

هذه الروح الشعرية المتوثبة ، ليست إحساسا عابثا ، ولا نزوة جمالية ،
بل هي إرادة تتشكل وتتبلور وتتواصل وتنمى لترفض منطق المصادرة ، وتعلن

¹⁸ صلاح فضل، 2008. ص 109 ، ص 110

¹⁹ يراجع ذلك ضمن مجلة القصيدة العدد الرابع 1995: ص 51

الاستراتيجية الثقافية للحسن المقاوم من خلال نماذج من الشعر الجزائري المعاصر
المقاومة والتمرد ، انها عملية استنطاق قصوى للواقع من أجل ترسيم الخطوط
الشعرية للنص ، في موقف ابداعي شبيهه بالمثل الأفلاطونية²¹ .. التي استهوت
الروائي العالمي نجيب محفوظ في صياغته الأسلوبية لروايته قصر الشوق ، التي
سيطر فيها الحب الطفولي ، الرافض لكل أشكال المسخ او المحو بوصف هذا
السلوك نوعا من المقاومة الفاعلة، وكأني بالشاعر نور الدين طيبي هاهنا يرفض
شعريا الاستجداء ، مثلما رفضه الشاعر يوسف شقرة في يوسفياته ، وهو الذي
ربّته المحنة على النحو الذي عاشه الشاعر الجزائري الكبير محمد العيد آل خليفة
كما يشير الى ذلك دارسوه²² ، وقد كُبر وهُنا على وهُن في شكل أشلاء .. ثم تلاحم ..
والتحم وجدانيا بهذا الوطن العروبي الأصيل ، ليعلن انتماءه اليه ، دون مزايده ،
وكأنه أثر أن يمارس الثورة بقوة وعنفة، ووجدان رهيب ليعلن للملا تشبثه بروحه
العربية الى الأبد :

" أنا طيرك الأبدى

وزغرودة أزلية

أساحرتي العربية "²³

ولا يلبث أن يعيد صياغة هذه الانفاس المقاومة المتحدية للراهن الأسن ،

لينفجر ثائرا بهذه الدفقة الشعورية المانعة :

"أنا الفارس العربي

وعندي بطاقة الأمان

لأدخل الجنان "²⁴

هذه استراتيجية صاحب اليوسفيات التي تدفقت في شكل لوحات ثائرة :

²¹: د. رشيد العناني، 2006 ص 16

²² د. صالح خرفي ، 1986 ص 130

²³ زغاريد حب ضائع: ص 78

²⁴ يوسف شقرة ص 73

أ. د. علي ملاحي

" وما كان عيسى وما كان موسى "

ولكن كنت أنا الطاهر

الطهور

من غمام الأنبياء " ²⁵

تلك إرادة شعرية وسليقة جمالية يمتلكها يوسف شقرة وهو يستنبت استعاراته الكثيفة ليبوح بمعدنه الثوري المقاوم لكل أشكال العتمة متحديا وبقوة إبداعية كل مبررات الانكسار، موقنا أن المقاومة هي سبيل النجاح :

" هو يوسف يحلم "

مثل أبيه

ويؤمن بالبعث والمحيء " ²⁶

إرادة شعرية تنبثق من ينابيع قصائد لها من الكفاءة والجدارة ما يجعلها تتجاوز اليتيم النصي الآسن الذي فجّره صاحب ديوان (سين) الشاعر مشري بن خليفة بتقنياته الخاصة النابضة ، وهو ما حاول الناقد الجزائري ²⁷ احمد يوسف في كتابه: يتم النص / الجيني لوجيا الضائعة أن يبرزه من خلال ما سماه : " الانتماء وبلاغة التيه " فكرة الانتماء الى الماضي بوصفه اقرارا بالعدم والاشارة الى اليتيم بكل ما يرافقه من ألم وضياع وغربة" في كل أيقوناته الجمالية الشعرية بإحساس متراكم من الحاجة الماسة الى تحدي آليات الواقع وتشابكاته الرديئة ، حتى وهو يخاطب معشوقته المتجانسة مع ذاته ، الملتهبة في جسده ، وهو في ذلك يحيلنا الى المعاناة الأسطورية التي تكبدها تاريخيا المجتمع الجزائري ، وهي معاناة

²⁵ يوسف شقرة :ص 26

²⁶ المصدر نفسه : ص 76

²⁷ .أحمد يوسف 2002، الجزائر ص 124)

الاستراتيجية الثقافية للحسن المقاوم من خلال نماذج من الشعر الجزائري المعاصر
ملحمية تذكرنا بالطاقة التي كان يخبئها البطل الاغريقي في الملاحم الشهيرة الرهيبة
الوقع²⁸

يسدد الشاعر مشري بن خليفة قلمه نحو الهدف في ظل استراتيجية ثقافية يؤمن بها ويراهها طوق نجاته :

" أعترف الآن "

أنتك انتمائي " ²⁹

وهو لا يتردد في الإفصاح عن هذا الشعور المكابر المكابد الى الأبد :

" هذا الوطن "

زجاجة يكاد زيتها يضيء

طفل يغازل الحجر

في دمه أغنية

تثير فينا هذا المساء

ولادة أخرى اذن .. " ³⁰

اعتراف شعري مقاوم واثق ، يلتقي - جدلا- بالثورية الشعرية التي أفصح عنها من قبل الشعارين نور الدين طيبي و يوسف شقرة . شعور شعري مقاوم يوحي بثقافة شعرية تستمد استراتيجيتها من قناعات راسخة عمودها الفقري تمجيد الثورة واستدعاء مقوماتها الملحمية في الوجدان الشعري الوجودي والتاريخي على حد سواء ، ، انهم شعراء لا يحبون اللعب على ظهر الوطن / الحضارة / الكينونة التي صاغها الدم والعرق والروح :

" أشهد أنك المنتهى "

وأن القبائل التي أنكركت

²⁸ احمد حسن عبد الغفار ، 2009

²⁹ مشري بن خليفة : ص 52

³⁰ نفسه: ص 53

أ. د. علي ملاحي

أنكرتني ..."³¹

وعلى النحو الشعري نفسه ، يأتي تدفق الشاعر المفتون بفاطمة/ الوطن الذي يهيم به ، الشاعر عزوز عقيل :

" مثل الحمامة في الحدائق حائمه

وأنا هنا ما زلت أهوى فاطمه "³²

وما فاطمة سوى هذا الوجدان المقاوم المتشَبَّث بالروح الوطنية الأصيلة :

" ثوري اذا .. حطّمي الاحزان عن وطن

يوحي بسرّ، وهل في القلب تخفييني

ثوري اذا مزّقي الأغلال عن جسد

لا تحرميني اذا ما جئت هاتيبي .."³³ ص 27

وجدان مفعم بالحس المقاوم ، مثخن بألم دفين ، يندرج ضمن مصطلح (الشعر الرؤيوي) الذي تبناه أستاذنا الكبير الدكتور صلاح فضل ، ويصح لنا أن ندرج الشاعر عزوز عقيل ضمن هذه الخانة الشعرية التي تركز على الوحدة التصويرية بدل ما كان يعرف بالوحدة العضوية³⁴

ان الشاعر عزوز عقيل بهذه الروح يعلن عن انتمائه ويفصح عن حسّه المقاوم متحديا الأمر الواقع ، وهذه سجية في الشاعر ، الإصرار على الفعل المقاوم الذي يفرض موسيقاه ، باعتبارها صفة متجانسة مع الشعر الذي يكتبه ، وتلك هي نظرية كبير العروضيين العالم البلاغي والألسني إبراهيم انيس³⁵ الذي أقرّ ان الموسيقى أبرز صفات الشعر، خاصة أنها تعطي للغة ملكة خاصة وتطبعها

³¹ نفسه: ص 70

³² عزوز عقيل ، ص 19

³³ نفسه : ص 27 .

³⁴ د. صلاح فضل ، 1998 - ص 175

³⁵ د. إبراهيم أنيس ، ص 7-9

الاستراتيجية الثقافية للحسّ المقاوم من خلال نماذج من الشعر الجزائري المعاصر
بإحساس جمالي تتفاوت فيه درجة اللذة الشعرية من شاعر الى آخر ومن متلق الى آخر ، وقد لاحظت فيما لاحظته ان الشاعر عزوز عقيل الودود في روحه الشعرية ، الرؤيوي في مخيلته ، البليغ في لسانه ، كثيرا ما يتخذ من اللغة الجمالية وسيلة تواصلية للمناورة الشعرية :

"اني اراكِ على المدى هفهافة

وأرى عيونك ملتقى العشاق " ³⁶

ولذلك يتوق الشاعر الى التحرر وتقمّص الحسّ المقاوم من خلال روح شبكية فيه الكثير من الرومانسية الحاملة ، ومن أجل هذا الشعور بالانتماء فان الشاعر عزوز عقيل لا يتردد ان يشعرنا بوجوده أمام المرأة وهو يمस्क بين يديه قيثارة او كأنه يمस्क العصا السحرية كي يتكئ عليها ، وهو بهذه الكيفية الشعرية يحفّز فينا الحاجة لهذه الهوية الموسيقية المقاومة للنبرة الصدئة المتكّسة الناجمة عن ثقل الصياغة ، وقد لمسنا فيه هذه الحيوية الشعرية التي يصنعها ثوريا بأصابعه اللغوية البعيدة عن أساليب التنفير والخشونة والاستعراض والاستقواء بالمفردات المصطنعة او المتحجرة :

" صاحبي شاعر

جلست قربه فاحترق

وتعمّق في وجهها ففرقُ " ³⁷

لاشك ان هذا الوجدان المتألئ على لسان الشاعر الجزائري ليس طفرة عادية في تجربة الشعر الجزائري الذي اعتدنا عليه شعرا بلاغيا بالدرجة الأولى مثلما اعتدنا عليه عند الشاعر محمد العيد آل خليفة على سبيل المثال من خلال

³⁶ ديوان مناديل العشق، بن عزوز عقيل، ص:

³⁷ أ. ي. ص 34 ص 37

أ. د. علي ملاحي

هيامه بالايقاعات الفخمة والبنية التقليدية³⁸ ، وهذا ليس من باب المفاضلة وانما المراد به ان هناك انزياحا كبيرا حدث في الزاوية الرؤيوية للشاعر الجزائري الجديد الثماني بالخصوص ، وهو انتاج شعري متغير في وجهته وايقاعه واستثماره للوسائل اللغوية والبلاغية والصوتية . وحتى في التعامل مع الراهن العربي بما في ذلك الحس الأيديولوجي وما فيه من شعور قومي بضرورة النضال من اجل البقاء :

" أنا اذ أغني للعروبة انها

روح تنامت هاهنا ورجاء

فمن المحيط الى الخليج توحدت

كل القلوب محبة ورجاء

اني غرستك في دمي ومشاعري

فتوحدت من حبنا الأجزاء

لغة ودين واحد ومهابة

للعالمين وعزة شماء .. "³⁹

هذا الشعور الفيّاض بالانتماء ، انتماء الجزائر الى الامة العربية ، هو روح مقاومة مستميتة لدى الشاعر عزوز عقيل صاحب ديوان : مناديل العشق الذي أفصح فيه بجلال واعتزاز هائلين عن عمق التحامه بطريقته الثقافية التي يمارسها على نحو رومانسي ثاقب وهادف. انه لا يريد ان يكون عاشقا بلغة نزار ولا ثائرا⁴⁰ - ورغم كل ما نلاحظه من بصمات الشعارين نزار قباني ومحمود درويش في الشعر الجزائري الجديد، الا ان روح المقاومة تظل مستمدة من الأمير عبدالقادر

³⁸ أ. ي ص 34 ص 37

³⁹ ديوان من جهة القلب، عزوز عقيل ، ص 54

⁴⁰ رغم ما نلاحظه من بصمات الشعارين نزار قباني ومحمود درويش في الشعر الجزائري الجديد ، الا ان روح المقاومة تظل مستمدة من الأمير عبدالقادر ومن ملاحم الثورة التحريرية .

الاستراتيجية الثقافية للحسن المقاوم من خلال نماذج من الشعر الجزائري المعاصر
ومن ملاحم الثورة التحريرية . - وهذه وجهة نظر لمسناها في النصوص الشعرية في
حد ذاتها التي تتناص عادة مع نصوص الشعاعين - اذ عادة ما يكون الشاعر
الجزائري الجديد مفعما في خطابه الشعري بهذا الشعور البدوي النابع من
أعماق وطن ذاق المحنة وتكبد ويلاتها الأسطورية . وطن يسمى " الجزائر الأبية
الحرّة ":

" تعالي اذن ، تعالي اذن ..

لنحلم بالانتصار " ⁴¹

وبقوة المعنى الشعري ، يؤثر الشاعر يوسف شقرة ان يعلن ان الواجب
المقدس يحتم علينا نحن الثائرين المؤمنين بشهامة ثورتنا العربية الحضارية ان
نفتح قلوبنا الولي على القلوب العطشى في غزة / فلسطين . وكأني فيها بالشاعر
يوسف شقرة يحاول باستماتة ان يعيدنا ملء الذاكرة الى واقعنا المرير. والى
حقيقتنا التاريخية الثائرة :

" يا قدسية الأنام ..

يا رسم الاله ..

وحرقة الآهات

يا وجهنا المبعثر..

كما التاريخ ..

العابث بالأوراق ..

والزعامات .

هل نكتب خيبتنا في غزّة ؟

هل نقطع أصابعنا الخائئات ؟

⁴² لا تتعجّبي يا من كنت ملهمتي ..."

⁴¹ ديوان مناديل العشق، بن عزوز عقيل، ص 32

أ. د. علي ملاحي

روح فائقة الغضب ، واحساس انساني مقاوم ملتهب ، لا يمكن أن يختزل
او يتغافل عنه ابن الجزائر العربية ، ابن الأوراس الأثم الذي امتحته القصائد
العربية بكل المعاني المشحونة بالغيرة الإيجابية الخالصة :

" يا أيها الأوراس ..

الضارب في طينة الأرض

يا قربانها،

ويا قرطها ،

ووجهها ،

وحلمها الخالد

قل للتي لم تفهم وصاياك

ولم تقرأ تجاعيد جبينك الأسمر

وتباشير محيآك ..

والسبع الطوال ..

ولم تفهم بعد ..

معناك والخلود ...

لم تدرك ،

ان الحلم انسان ،

⁴³ لمولده موت وريحان ..."

صاحب اليوسفيات بهذا الشكل الثقافي البعيد في مشاعره الثائرة
واحساسه المقاوم يحقّز فينا الحاجة الى استمرار الثورة في كل شيء بما في ذلك
واقعنا الذي نتداوله على مبيض ، نحن نثور في نظريوسف شقرة دائما ، ونؤمن

⁴² ديوان اليوسفيات، يوسف شقرة: ص 50 ، ص 51

⁴³ نفسه: ص 134 - 136

الاستراتيجية الثقافية للحسّ المقاوم من خلال نماذج من الشعر الجزائري المعاصر
بالثورة لأننا خلقنا من طينة الثوّار ، لذلك لا يجب أن نستسلم ، يقول صاحب
ديوان تجليات طين الصمت الشاعر مشري بن خليفة :

" أسافر فيك أيتها الأرض البكر.. " ⁴⁴ ص 5

لذلك يعلن جهارا نهارا انه مغرم بها الى حد الجنون النادر كجنون قيس :

" أرض الميعاد أنت .. ومملكتي ،

أصبح عند بابك : أحبك ..

يتشكّل في دمي صوتك ..

يرتعش الفؤاد من صبابته ويضطرب

يتهمّس جسدي مثل زجاج

مبلل بريح عطرك ..

ما في الهوى الا أنت... " ⁴⁵

ان انبلاج المعنى الشعري ، يتقوّى لدى الشاعر مشري بن خليفة من خلال
التكثيف في التصوير والاستعارة والتميز الخلاق ، وهي إمكانات ثقافية تدل على
رزانة ونباهة وذوق الشاعر في اختياره لمنظوماته الشعرية التي تستهويها اللذة
الشعورية ، التي تمكنه من أن يندمج بخياله وجدانيا عن طريق الاثارة الشعرية
للحواس المستنفرة والمسكونة بغيرة على الوطن والأرض والمصير والوجود العربي
المائل في ذهن الشاعر ، وهو ما يعطي لشعر مشري بن خليفة القدرة الشعرية على
المراهنة الشعرية لقصيدة النثر ، وما تنبني عليه من شروط موضوعية قائمة على
وتر بنيوي دقيق هو كيفية تركيب بنية الشعر وما يشكّلها من " شبكة متداخلة من
الدرجات المتخالفة في الاتجاه والمتوافقة في الأثر وهي درجات الإيقاع والنحوية
والكثافة والتشتت " ⁴⁶

⁴⁴ بن خليفة : ص 5 ، ط: 2021

⁴⁵ المصدر نفسه: ص 7

⁴⁶ د. صلاح فضل ص: 316

أ. د. علي ملاحي

هي غواية الشعراء اذن ... وهذا الوطن فتنهم ، وما هذا الشعور الدافق المتعطش الى لغة الرفض والمقاومة الا دليل قاطع على عمق هذه الثقافة البعيدة في استراتيجيتها واحساسها الثائر، ومعاناتها المتواصلة وايمانها بالمجد الأصيل ، او هكذا يقول الشاعر نور الدين طيبي على عجل :

" في كل شبر من دمائي غصّة

تجتاحني وتهتك الأعصابا

وتعيدني لليل . قلت تركته

خلفي ، وقلت نشيجه قد غابا

اني أحبك لست أعمى في الهوى

يأبى الهوى ان أخذل الأحبابا " ⁴⁷

بكل بسالة اللغة وبكل منطق الشعر وما فيه من رؤية ثاقبة ، وبكل قوة المعنى الشعري يسجل الشعراء مشري بن خليفة وعزوز عقيل ويوسف شقرة ونور الدين طيبي صفحات مجيدة لثورة مجيدة ، وهم يفصحون عن ثقافة لا تنتهي لأن لها استراتيجية ثقيلة المعدن .

هذه القراءة بكل بساطة تظل مشروعا لدراسات متواصلة. ويبقى الشعر الجزائري المعاصر بما فيه من جواهر شعرية ، بحاجة الى اختبار وتحليل ، وتبقى الثورة التحريرية أيقونة القصائد . ولا يمكن الا أن يبقى ما كتبه فيها شاعر الثورة المجيد مفدي زكريا إحساسا فريدا في المقاومة ، وستبقى جميلة بوحيرد كما تغني بها بدر شاكر السياب وعبدالمعطي حجازي ، وغير ذلك من الشعراء العرب جواهر متألئة في أفق الابداع العربي الحديث والمعاصر.

⁴⁷ ديوان : لك الفوانيس وما يسع البحار نور الدين طيبي : ص 17 : منشورات أرنيستيك / دار الاخبار للصحافة
ط 1 القبة الجزائر 2007

الاستراتيجية الثقافية للحسن المقاوم من خلال نماذج من الشعر الجزائري المعاصر

المصادر:

- أدونيس : النص القرآني وآفاق الكتابة : دار الآداب بيروت
- عبدالمملك مرتاض (2021)، الادب الجزائري القديم: مكتبة نور / ط 6
- إشارة الى ديواني الشاعر يوسف شقرة : زغاريذ حب ضائع : مطبعة البعث
- قسنطينة الجزائر ط 1 / 1982، و اليوسفيات : دار الحكمة للنشر -
الجزائر 2017
- زغرودة الماء: نور الدين طيبي (2000)، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين
الجزائر
- إشارة الى ديوان سين: مشري بن خليفة : منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين
ط1/ 2002
- إشارة الى ديوان : مناديل العشق : عزوز عقيل: منشورات التبيين الجاحظية
الجزائر 2000/ الى جانب ديوانه : من جهة القلب : سلسلة كتاب الواحة
إصدارات يسطرون الجيزة القاهرة : ط 1 / 2018
- معجم موسوعي للمصطلحات الانثروبولوجية : متابعة لمصطلحات العلاقات
والعادات والتقاليد في المجتمع العربي منذ القديم / دار القدس العربي . 2018
وهران الجزائر
- ذلك ما يثبته الدارسون لتاريخ الادب الجزائري : ينظر في هذا الشأن الأمير
عبدالقادر / رائد الشعر العربي الحديث : د. بشير بويجرة محمد / منشورات دار
الأديب وهران / 2007
- شعراء الجزائر/ ديوان ابن العقون / تصدير مهري المولود بن عمار/ الشركة
الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1980 ،
- الابداع شراكة حضارية : صلاح فضل : الهيئة المصرية العامة للكتاب 2008

أ. د. علي ملاحي

- يراجع ذلك ضمن مجلة القصيدة العدد الرابع 1995 / الجاحظية دار التبيين (20) - ديوان زغرودة الماء : ص 51
- استنطاق النص / مقالات في السرد العربي : د. رشيد العناني / الدار المصرية اللبنانية 2006
- (22) محمد العيد آل خليفة : د. صالح خرفي - المؤسسة الوطنية للكتاب 1986 الجزائر ص 130
- أحمد يوسف : يتم النص / الجينيولوجيا الضائعة / منشورات الاختلاف ط 1 / 2002 الجزائر
- (28) احمد حسن عبدالغفار: أشهر الملاحم الهندية الرمايانا والمهاباراتا / دار مشارق ط 1 / 2009. الجيزة القاهرة
- أساليب الشعرية المعاصرة: د. صلاح فضل / دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع . القاهرة -1998
- د. إبراهيم أنيس ، موسيقى الشعر / مكتبة الانجلو المصرية القاهرة
- بن عزوز عقيل: (2000)، مناديل العشق منشورات التبيين الجاحظية / الجزائر
- أ. ي . دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة أين ليلاي لمحمد العيد آل خليفة، ديوان المطبوعات الجامعية - بن عكنون الجزائر
- ديوان تجليات طين الصمت : مشري بن خليفة : دار خيال للنشر والترجمة برج بوعرييج . الجزائر
- ديوان : لك الفوانيس وما يسع البحار نور الدين طيبي : منشورات أرنيستيك / دار الاخبار للصحافة ط 1 القبة الجزائر 2007